

إلى الليل، وكانت البيعة ثلاثة أيام متوالية ، فلما بايع الناس أمر القبائل أن يأتوا مع إخوانهم ، فلما وصلوا خرج الخليفة نحو تازاكورت ، فكسر بها يد ر بن ولكوط وأقبل بغنائمها .

وبعد خروج الخليفة من تينملل ارتدَّ عبد الله بن ملوية وهبط إلى علي بن يوسف فدفع له عسكرياً وأقبل به إلى كنفيسة لموضع يقال له تامدغوست (77) ليصعد لتينملل ليهدمها ، وكان بها عبد الله بن وسدرن، فضم كنفيسة فقالوا له وأين العهد الذي بيننا وبين المهدي ؟ فقام الشيخ أبو سعيد يخلف بن الحسن أتيكى والگلام الذي كان له وقتلاه وأتيا به نحو تينملل وصلبها بها ، فبلغ خبره للخليفة فطرق حتى وصل تينملل فوجده مصلوباً فحمد الله وأثنا عليه وشكر ذلك الفعل لكنفيسة ، وهو أول نائر نار على هذا الأمر العزيز أمنه الله وخلده مما يشوبه، فقسم الغنائم ومضا يستولى مع صنهاجة إلى بلادهم ، وكان الخليفة أركن في الطريق رجل منهم فأحس منه غيرة وخدعة عليه ثم أرسل إليه وأقبل في خاصته ، فلما وصل قتله وألحق بمكره وصلب بتينملل وولاً علي بن ناصر على صنهاجة .

باب نذكر فيه

غزاة تالكووت متاع حاحة

وكيف اجتمع الخليفة من الأبرتر وتاشفين وفتح الله في غنائمهم

فلما أقبلنا حُصِرنا بموضع يقال له تيزغور ستين يوماً حتى أكلنا غنائمها ، ثم بعد ذلك قالوا لنا اصعدوا في السماء أو غوصوا في الأرض ، فرد لهم الخليفة ، (سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) أو قال (يجعلُ له من

(77) مدغوسة وبالشلجة تامدغوست مكان معروف إلى اليوم بين بني شعيب (قيادة مزميز) من إقليم مراکش .

أمره يُسْرًا) ، ثم أمرنا بالهبوط فهبطنا وتجاربنا معهم حتى هزمونا أول النهار ، وهزمناهم آخر النهار ، وأخذنا لهم بنداً أحمر ، وكان قتالنا يوماً وليلة وخرجنا على حتى وصلنا تينملل ورجع تاشفين (78) إلى مراکش خاسراً والأبرتر (79) مجروحاً خاسراً هو والحزب الباطلي، ردهم الله ببغيهم ولعنهم بما قالوا ، والله الذي يرد كيد الخائنين .

باب نذكر فيه

التقاء الخليفة مع الأبرتر بموضع

يقال له أمسميص (80) متاع كدميو

ثم رجعنا ورجع بعد ما ردَّ الله كيده في نحره ، ثم أراد الخروج فبلغ ذلك الخبر للخليفة فخرج .

(78) تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين ، أمير المسلمين ثالث سلاطين الدولة المرابطية، كان بطلاً عظيماً ذا نجدة وحزم ودين، ولاه أبوه على جهات من الأندلس فنظر في مصالحها وطير في حروبها على التصار فذاع صيته وحسن ذكره فغار منه أخوه الأمير سير بن علي ولي العهد ففاوض أباهما في شأنه فاستقدمه إلى مراکش فصار من جملة من يتصرف بأمر أخيه سير ويقت ببابه كأحد حجابيه ، ولما توفي أخوه أسندت إليه ولاية العهد باستفتاء شعبي يوم الثلاثاء 13 دجنبر سنة 1138 م (8 ربيع الثاني عام 533 هـ) ففوض أيام ولاية العهد في محاربة الموحدين . ولما مات أبوه السلطان على يوم الأربعاء 26 يناير 1143 م (7 رجب 537 هـ) صار إليه الأمر والدولة في ادبار ، وما زال يصارع الموحدين ويصارعونه حتى صرع بوهران ليلة 23 مارس 1145 م (27 رمضان 539 هـ) تنظر ترجمته المفصلة في الإحاطة 1 : 454 .

(79) الأبرتر Reverter كان هذا القائد في الأول نصرانياً من قواد أمير برشلونة وأراكون ، ثم وقع في أسر الأميرال على بن ميمون قائد الأسطول المرابطي فنقله إلى مراکش حيث أسلم وأخلص الخدمة للسلطان على بن يوسف بن تاشفين وأبلا البلا الحسن في محاربة الموحدين الخارجين عليه إلى أن قتل في معركة جرت ضلهم سنة 539 هـ وكان له ولد اسمه علي اعتنق فيما بعد دعوة الموحدين وصار من خيرة قوادهم ، واليه يرجع الفضل في طرد بني غانية من جزيرة ميورقة وإعادةها إلى الدولة الموحدية ، وقد قتل على هذا في أحد المعارك التي جرت سنة 583 هـ .

(80) أمسميص : هي قرية مزميز الحالية بإقليم مراکش .

باب نذكر فيه غزاة أكظور

خرج سيدنا أمير المؤمنين حتى وصل أكظور، فنقاتل بها مع الشقي الأبرتر، فهزمه الموحدون حتى ما بقي من رجاله شيء، وخرج الشقي الأبرتر مجروحاً، ثم رجع نحو مراكش، ورجعنا نحو تينمل، وذلك عام خمسة وثلاثين وخمسة.

باب نذكر فيه غزاة موضع يقال له تينلين

وذلك أن الخليفة أمرنا بالخروج فخرجنا حتى وصلنا تينلين متاع يركين بن ويدرن، فلما وصلنا مع الخليفة حصرناه حتى هممنا بأخذه، فاشتد بيننا وبينهم الأمر، فبقينا عليه ثلاثة أيام، فوصل الأبرتر بعسكر، فقلعنا عنها لجانب السوس، وأقبلنا على أنفك متاع أمسكروطان فبينما بالطين والحجر والشطب (81) فلما وصل الأبرتر ونظر إليه رجع وحبطنا نحو السوس بعسكرنا فكسرنا أبر مناد ميمون، ثم كسرنا تاسلوت، ثم كسرنا تارودانت، ثم كسرنا تيمونوين وكان بها صالح بن سارة، ثم كسرنا إيكلي وسقنا غنائمهم وأفسدنا لهم أمزكور (82) ووحد الفلاكي (83) هو وأصحابه،

(81) أغصان الأشجار في العامية المغربية.

(82) أمزكور : الذرة بالشلحة.

(83) الفلاكي : كان الفلاكي من قطاع الطرق بالاندلس، ثم استماله السلطان على بن يوسف المرابطي وضمه إلى عسكره وصيره من قواده، وأسند إليه مهمة بناء سلسلة من الحصون لحماية المنطقة القريبة من مراكش، وقد انضم الفلاكي إلى الموحدين ثم عاد إلى المرابطين ثم انضم مرة ثانية إلى الموحدين في إيكلي مرة روفد على عبد المؤمن بن علي في تينمل سنة 535 هـ.

ورجعنا نحو تينمل بالغنائم والفتح، فجعل الأمير قراراً للنساء، وأقبل الأبرتر على تيغنايين وحمل النساء وحمل في جملتهم زوجة يعزاً بن مخلوف، ثم تكلمت تاماكونت وقالت يا قوم هنا أمير المؤمنين، قالوا لها نعم، قالت يا أمير المؤمنين أشفع والدي يينتان بن عمر في المهدي؟ قال لها صدقت أنت مطلوقة، قالت له وهل يصح أن أطلق وحدي من أربعمئة رأس، فقال لها صدقت وأمر بإطلاقهن وأزعجهن في كرامة حتى وصلن مراكش، فلما وصلن أخذ علي بن يوسف زوجة يعزاً بن مخلوف ومن كان معها من الغنائم وبعثهن في أمن ودعة وكرامة حتى وصلن، فقال الخليفة أمير المؤمنين إنما أعمالنا ردت علينا، ونحن قوم لا نعمل على هتك العرض.

باب نذكر فيه خروج الخليفة للغزو

إعلم يا أخي أنه لما خرج سيدنا الخليفة أمير المؤمنين للغزو خرج من تينمل على ناحية الشرق، ونزلنا بها بموضع يقال له وانزال، ومنه لموضع يقال له وفاد (84)، ومنه لموضع يقال له أشبار، فلما سمع تاشفين بنا نزل بأشبار ونحن بموضع يقال له تاساوت (85)، ثم منه لموضع يقال له دمنا (86)، وقام تاشفين ونزل على يمللو، ثم قمنا منه لموضع يقال له بنو

(84) وفاد لعله المكان المسما بالشلحة وفادن الكائن بطن بني واكوسيت من قبيلة مسفيوة.

(85) تاساوت : اسم رافد مهم من رواند نهر أم الربيع، ينبع من مكانين مختلفين بالأطلس الكبير : تاساوت التحتية من جبل غات وتاساوت الفوقية أو الوادي الأخضر من جبل مكنون، ثم يلتقيان بين دمنا وقلعة سراغة ويكونان حينئذ نهرًا واحدًا يدعى تاساوت فقط. وتكون تاساوت التحتية ساقية السلطان التي بنيت في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام (1828 - 1859) والتي يوجد مئذنها قرب زاوية تاكلات.

(86) دمنا : مدينة شهيرة تقع إلى الشرق من مدينة مراكش على بعد 127 كلم، وتعملو 961 م على سطح البحر.

نصر وتاشفين بكوية ، ثم قمنا نحو الفلّ متاع كوية ، فخرج الشيخ أبو حفص عمر أينتى بعسكر رجاله دون خيل ، فغنم ورجع ، ثم قلنا منه لموضع يقال له واويزغت (87) ساق لنا فيه صنهجة المروّة (88) وتاشفين بموضع يقال له موران يغيال ثم التقا الجيش بالجيش بموضع يقال له تيزى ، فهزمتا الفئة الباغية ، فأيد الله الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين .

ثم هبطنا لموضع يقال له تاكرارت (90) متاع داوود بن عائشة ، ثم خرج منا جمع فاكل تاكرارت ، فأقبل بغنائمها ، ثم رحلنا منها لموضع يقال له داي (90) ، وكان بها علي بن ساقطرا فلما وصلنا بقربها هرب فغنمنا داي ، فتكلمت صنهجة وقالوا له ياأمير المؤمنين ، ردّ صنهجة ، فانهم كلهم موحدون ، فردهم حاشا والدّة السيد أبى سعيد ، ثم قلنا منها لويغيفغن ، ثم منها لمكدار ، ثم منها نحو تين طوين ، ثم منها نحو تيزى متاع تاكرارت ، فالتقينا بها يحيى بن ساقطرا وهزمناه وأخذنا خيله وأعطاها أمير المؤمنين لصنهجة ، ثم منها لموضع يقال له واوّا ، فالتقينا به يحيى بن سيركان بالقلعة (91) فتقاتلنا معه وانصرف كل منا عن صاحبه ، ثم سرنا نحو آزرو (92) ، فهرب منا أخوه علي إليه ، فدخلنا آزرو وسكننا به وأخذ الخليفة أم عبد الله .

ثم تقاسم العسكر على أعداد ، خرج ابن زنگولبني كانون ، وخرج آخر لتيظاف فوجد آيت سدرات ، وبنو آمرسال ، وأهل ملوية ، ثم رجع

(87) واويزغت : قرية شهيرة مطلة على بحيرة سد بين الويدان ، تبعد 27 كلم عن مدينة بنى ملال الى الجنوب منها .

(88) ما يكرم به الضيف (القرا) .

(89) تاكرارت : لا تزال أطلال هذا المعسكر المرابطى موجودة الى اليوم ، وهى واقعة على بعد 2 كلم من المدوة اليسرى لنهر درنة و 12 كلم الى الشمال من مدينة بنى ملال .

(90) داي : لا تزال بقايا حاذة المدينة العظيمة موجودة بالجبال الواقعة بين قسبة تادلة وبنى ملال غير بعيدة عن حصن تاكرارت المتقدم .

(91) القلعة : يريد بها قلعة مهدى قاعدة فازاز التى زعم مؤرخ مشاخر أنها قسبة ادخسان القريبة من خنيفرة والتى ربما كانت قرية تمهديت (تمحضيت ؟) .

(92) آزرو : قرية كبيرة واقعة فى جنوبى مكناس فى الطريق بيننا وبين خنيفرة وميدلت .

ابن زنگو نحو آزرو ورجع العسكر كله ، وأخذ الخليفة منهم الأشياء ، وبعث بهم نحو تينملل فقالوا له ياأمير المؤمنين تتركنا للمجسمين ؟ (93) فبعث معهم أمناء حتى وصلوا وزاروا ، ووجد أهل فازاز (94) ونزلوا على القلعة ، وتاشفين بفاس والأبرتير معه ، ثم خرج عسكر من فاس ومكناسة بالميز والغيث ونزلوا على القلعة ، فدخل الشتات بينهم فخرجوا من القلعة هاربين ، ومشوا يحيى على الجبل فسلم هو وعسكره ، ومضا ابن ولكوط على طريق مكناسة (95) فهزم وقتل رجاله ، وفتح الله على الموحدين ، والله ذو الفضل العظيم ، وأخذنا غنيمتهم ما راا الراؤون قط مثلها .

ثم قلع الخليفة منها لموضع يقال له تيزرفت متاع بيلورن ، ثم منها لتاسغرت ، وهرب منها ميمون بن صاي ، ووحد بنو أبى غزوان ، ثم منها حتى وصلنا غريس (96) ، ثم رجعنا لموضع يقال له تون كرماط متاع إيلوان فوجد هناك سلام بن حمامة وقبيلته ، ثم وصلنا لموضع يقال له تدغت (97) ، ووجد به آيت علي وسكور ومنكور ووحد موسى بن حماد متاع أسامترن آيت سنان (98) فتترك بها ابن وطبيب ، ثم منها راجعين لموضع يقال له تيزى (99) متاع تالغمت

(93) المجسمون : كان الموحدون يلقبون المرابطين بالمجسمين ، لأن محمد بن تومرت ألزم فقهاءهم أثناء تناظره وإياهم القول بالذات والمكان .

(94) أهل فازاز : كان لفظ فازاز يطلق فى القديم على الجبال الممتدة من جنوب فاس ومكناس الى وادى ملوية ووادى العبيد ، أى جبال الأطلس المتوسط على سبيل التقريب ، وقد اضمحل هذا الاطلاق الواسع من زمان ، ولم يبق اليوم يسما بفازاز الا مكان بتلك الجبال يبعد عن مكناس جنوباً بنحو 100 كلم ، ويسما اليوم بأهل فازاز بطن من قبيلة المصاغرة الزمورية .

(95) المراد هنا مدينة مكناس (مكناسة الزيتون) لا قبيلة مكناسة المستقرة بأقليم تازة .

(96) غريس : اسم أرض وجبل ونهر شهير بأقليم قصر السوق قاعدته كوليمية الواقعة على الطريق الذى يربط مدينة قصر السوق بمدينة ورزازات ، ويسكن هذه الأرض عدد من القبائل ، أكبرها مرغادة ، وغريس ، والعرب .

(97) تدغة : اسم أرض واقعة بين وادى غريس ووادى مدغاس أحد روافد وادى درعة .

(98) بنى سنان : آيت سنان بالشلحة بطن من قبيلة أهل تدغة .

(99) تيزى تالغمت : أى كدية الناقة بالعربية مكان عال جداً بجبال الأطلس يبلغ علوه 1907 م فوق سطح البحر ، يقع فى الطريق بين مكناس والرفود على بعد 219 كلم إلى الجنوب من المدينة الأولى ، لا بد للمسافر بينهما من الاجتياز به والمرور عليه .

ثم منه لموضع يقال له زيز (100)، وهو ليحيا بن محمد، فخرج إلينا أبو بكر بن صارة من سجلماسة (101)، فاجتمعنا معه بايغرم متاع واطوب فرجع ورجعنا.

خروج الخليفة للغزو إلى المغرب

ثم هبطنا نحو المغرب، فنزلنا بنوليس، ثم منه بتاكربرت متاع بني وابوط، فخرج من الموحدين عبد الرحمن بن زكو في خمسة أيام من المحرم وضرب يوم عيد صفرو (102) وغنمه، ووصل إلينا ونحن بموضع يقال له الفلاج. فقلعنا منه إلى بني يازغة (103)، ثم قام تاشفين من فاس وخرج لجبل العرض وميز به، وبعث الأبرتير نحو الفلاج فاجتمع به مع يحيى أغوال فقتله وحمل رأسه إلى فاس، ثم قمنا نحن لموضع يقال له بنو مكود، وخرج تاشفين ونزل بالمقرمدة (104) ثم قمنا نحو غياثة (105)، وقام تاشفين لموضع يقال له النواظر، ونزلنا نحن بموضع يقال له عفرا عام ستة وثلاثين وخمسمئة، فنزل علينا الهوا.

(100) زيز: نهر شهير بأقليم قصر السوق ينبع جنوبى ميدلت، ويجرى من المنحدرات الخلفية لجبال الأطلس المالى ماراً بالريش وقصر السوق والرفود والريسانى والطاوس حتى يلتقى بوادى غريس فيكون وادى نهر واحد يسما وادى الداورة.

وقد بنى على وادى زيز سد كبير بالمكان المسما فم الفيور، دشن سنة 1971 م.

(101) سجلماسة: حاضرة تافيلالت السابقة، توجد بقاياها على بعد 4 كلم من قرية الريسانى بأقليم قصر السوق.

(102) صفرو: مدينة واقعة جنوبى فاس على بعد 27 كلم منها، ولعله يقصد بيوم عيدها يوم عاشوراء من عام 536 هـ (10 غشت 1141 م).

(103) بنى يازغة: قبيلة موجودة اليوم بدائرة صفرو من إقليم فاس، بطونها: بنى سوغات، ومطراغة، والربع الفوقى، والربع الوسطى، من أكبر قراها قرية المنزل.

(104) المقرمدة: محلة بالقرب من وادى بو حلو بالطريق القديم بين فاس وتازة، بقربها كانت توجد قرية كرائدة (جراندة) التاريخية.

(105) غياثة: قبيلة شهيرة كبيرة تقع بوسطها مدينة تازة، وهى تشمل على قبيلة بنى وجان الصغيرة، وعلى بطون: أهل بو ادريس، وأهل الدولة، وأهل الواد، وأهل السندس، وبنى بو قيطون، وبنى بو محمد، وبنى مكارة، وبنى مطير، ومكاسة، وأولاد عياش، وأولاد حجاج.

خمسین يوماً بخمسين ليلة ولم يفتقر، وحملت الوديان وأكل وادى فاس باب السلسلة، وفتقت جزيرة مليلة، وأكل البحر طنجة حتى إلى الجامع، وأكل وادى سبو مع وادى ورغة أخبية لمطة، وهذا كله فى عام ستة وثلاثين وخمسمئة، وكان الخليفة أمير المؤمنين فى غياثة فى جبل يسما بعفرا. وكان تاشفين تحتنا فى النواظر، وبلغ عندنا فى ذلك الوقت سعر الشعير ثلاثة دنانير للسلط، وبلغ الحطب عند تاشفين ديناراً للرطل من شدة تلك السنة، ثم فتح الله بالغيث والخيرات.

فقلعت محلتنا إلى لكاي فنزلنا فيها وكسرنا الولجة وهزمنا منها يدغر بن ولسكوط، وقلع أيضاً تاشفين ونزل تحتنا بالجوزات متاع بنى بويلا، ونزل الأبرتير فى بنى سلمان وأحاطوا بنا، فوحد غماره، منهم مفتاح بن عمر، وجزنا إليهم ونزلنا عند مفتاح بن عمر فى صنهاجة غدو وقلع تاشفين ونزل تحتنا فقلعنا من صنهاجة غدو إلى تازغردا (106) متاع لجاية، وقلع أيضاً تاشفين مع الأبرتير إلى بنى تاودا فكان بيننا وبينهم الوادى متاع ورغة، فميز الأبرتير جنوده، وخرج إلينا إلى تازغردا، وكان بيننا وبينهم قتال شديد يومين بليلتين، فمات هاؤلاء وهاؤلاء، فرجع الأبرتير إلى بنى تاودا، وقلعنا نحن إلى أودور (107)، ونزلنا بموضع يقال له تاغزوت ن ينفظت، وتبعنا الأبرتير ونزل فى بنى مزكدة، وكان بيننا وبينه الجبل متاع أمرگو (108) متاع ابن يگساس، وقلعنا نحن إلى إيلانة متاع الميزان فى موضع يقال له إيگن، فمرض لنا عمر أصناك، وقلع الأبرتير مع تاشفين إلى تهليط تحت قصر عبد الكريم (109)، وبقينا نحن فى موضعنا فى إيگن وسكننا فيه اثني عشر يوماً، فخرج لنا الشيخ عمر أصناك وهو مريض، فأخذ الخليفة أمير المؤمنين

(106) تازغردة: قرية وبطن من بنى ابراهيم بقبيلة بنى زروال (قيادة غفساى - إقليم فاس).

(107) أودور: اسم رافد من روافد نهر ورغة، يصب فيه من عدوته إلينا أمام فاس البالى (بنى تاودة).

(108) أمرگو: جبل ببطن الزاوية من قبيلة فشتالة قرب ضريح مولاي بوشنا الخمصار (قيادة قلعة سلاسل - إقليم فاس)، بنا فوقه الرابطون حصناً متيناً لا تزال أسواره قائمة إلى الآن.

(109) قصر عبد الكريم: مدينة القصر الكبير بأقليم تطوان.

رضي الله عنه بيده اليمنى وأمر أن يضرب له قيطون فضرِب له ، فأخذَه عمر ونجاه عن روجه وقال لا سبيل أن أستظل أنا للظل والموحدون للشمس ، فحبس أمير المؤمنين بيده اليمنى وحبس أبو إبراهيم بيده اليسرى ووقفاه فكان بعض الموحدين ، وكانت وصيته إياهم من ضحوة النهار إلى الظهر ، وكان يأمرهم بالطاعة للخليفة ، ثم افترق مجلس الموحدين أيدهم الله ونصرهم وانصرف أبو حفص عمر بن علي أصناك في ذلك النهار وإلى الليل توفي رحمه الله رحمة واسعة ورحمنا بعده ، وقلعنا به إلى موضع يُسمَّى بجدار نمض ودفناه فيه ، ثم قلعنا بمحلتنا إلى أدرار ملولن فوحدَ أهله .

ثم قلعنا منه إلى تامقريت متاع أبي بكر بن سحنون ، وقلعنا من تم إلى بني سناد . ثم قلعنا منه إلى وادي لكو (IIIO) ، ونزلنا في بني سعيد عند دار كرناز بن منصور ، فامتنعوا وهربوا إلى جبل يكتل ، ثم هبط الأبرتير ونزل في تيطاوين (III) ، فوحد بنو سعيد كافة الذين هربوا وبنو أيكهم ، ثم جرح يعز بن مخلوف غازي الموحدين ومات من جرحه ودفناه في تاغزاوت متاع بني يزيد ، وقلعت محلتنا من تم وتركنا بها أبا يحيى أبا بكر بن الجبر مع بني سعيد ، ثم قلعنا إلى بني منصور والقائد ابن ميمون تحتنا في البحر بالقطائع .

ثم قلعنا إلى يكسس ونزلنا بموضع يسما أم ييكي ووجد بنو نال (II2) وبنو زياد ، وقلعنا منها إلى آست سار فوحد أولاد حيان متاع تيزيران وبنو أركدا فقلعت محلتنا إلى الثلاثاء متاع بو عريف ، فوحد تم عبد الله بن يحياتن ، وقلعنا إلى القلعة متاع بادس (II3) ، ووحد أهل الطارقية والمحفة ، وقلعنا إلى كزناية متاع تيزغت فوحد منهم ثلاثة قبائل وبقي ثلاثة قبائل .

(IIIO) وادي لكو : نهر ينبع من جبال الأخماس قرب باب تازة (دائرة شفشاون - إقليم تطوان) ويصب في البحر المتوسط عند القرية السباحية المسماة باسمه .

(III) تيطاوين : من أسماء مدينة تطوان .

(II2) بنو نال : عمارة من غمارة تسما بها اليوم قرية توجد بطن بني بوحدون من قبيلة بني جريز ، وأبها ينسب الولي سيدي عبد الرحمان النالي دفين عدوة الأندلس من فاس .

(II3) بادس : مدينة كانت توجد بساحل قبيلة بقوة بإقليم الحسيمة ، أمامها جزيرة صغيرة تسما جزيرة بادس ، احتلها القائد الإسباني بيدرو نافارو سنة 1508 ثم استردها المنارية من الإسبان سنة 1522 ثم احتلها إسبانيا بعد ذلك ولا تزال تزوج تحت نير احتلالها إلى الآن .

وقلَع أيضاً الأبرتير مع تاشفين إلى فاس ، وخرج من فاس إلى بني سلمان والتقينا معهم في كزناية متاع تيزغت فقلعوا من تم خاسرين ، وقلعنا نحن وهبطنا إلى المزمة (II4) فأخذنا فيها الهواء ثمانية أيام فكاد أن يهلك الطين دوابنا فسماعها أمير المؤمنين تاغزوت ن والوط ، فقلعنا منها إلى جبال تمسمان (II5) ، وكان كل واحد منا يرسم فيه منزله .

وفيها جاء إبراهيم إلى الخليفة أمير المؤمنين بالتوحيد ، وأعطاه الخليفة الخيل والعبيد والخباء وأنزله في موضع محمد بن أبي بكر بن ييكت ، فتغافر إبراهيم أخو الخليفة مع محمد بن أبي بكر بن ييكت فقتله محمد بن أبي بكر بن ييكت ، فمن ذلك الوقت قسمت المروس بالبندود ، فغضب الخليفة لقتل أخيه وقال يقتل ابن ييكت ، فقام له أبو حفص وأبو الحسن يوكوت بن وكتا وقال له ألم يقل المهدي بأن أهل الجماعة وصبيانهم عبيدهم كل من في الدنيا ، فصمت عند ذلك الخليفة رضي الله عنه ، وفي ذلك اليوم أمر أمير المؤمنين بقسمة المروس بالبندود كل قبيلة ببندوها . وبعد ذلك خرج من عندنا عبد الرحمان بن زكو وطرق إلى مليلة (II6)

(II4) المزمة : مدينة كانت توجد قرب وادي غيس من قبيلة بني ورياغل (إقليم الحسيمة) غير بعيدة عن مكان مدينة الحسيمة الحالية .

(II5) تمسمان : كتبت في الأصل تمس أمان ، قبيلة تقع شرقي وادي تكور على شاطئ البحر المتوسط بإقليم الناظور ، بطونها : بني بيدير ، والربع الفوقاني ، وبني مرغنين ، وبني نعبان ، وتروكت .

(II6) مليلة : مدينة مغربية توجد بالساحل الشرقي لشبه جزيرة قلعية على بعد 14 كلم من مدينة الناظور ، يزعم بعض المؤرخين الأجانب أنها من بناء الفينيقيين ، أسست في الإسلام سنة 490 هـ على يد مليل أمير بني يفرن الذي كان مع إدريس بن صالح مؤسس مدينة الكور ، ولما تأسست الدولة الإدريسية صارت من أهم مراكز اتصالها مع الخارج ولاسيما الأندلس ، ولأهميتها افتتحها الخليفة المرواني عبد الرحمان الناصر سنة 314 هـ وبنا سورها وجعل منها معقلا لموسى بن أبي العافية ، ثم تداول حكمها المرابطون والموحدون والمرينيون ، وجعل منها الأخيرون مرسا لفاس وتازة ازدهرت منه تجارة المغرب مع إسبانيا وفرنسا وإيطاليا .

وفي شهر شتنبر 1497 استولا عليها جيش إسباني بقيادة دوق مدينة صليونية وصارت منذ ذلك الوقت نقطة من تقاطع الصراع المسلح بين المغرب وإسبانيا ، ولا يزال الوجود الإسباني بها مصدرا تهديد لأمن المغرب وسيادته وعنصر من عناصر التوتر بين الدولتين لن يزول إلا بانسحاب إسبانيا وتسليم كافة السلط التي تمارسها بها إلى الدولة المغربية .

بالعسكر فنزل عليها وكسرها ، وقلعنا نحن من تلمسان والتقينا ابن زكرو ونزلنا معه في الخميس أمتليلى .

وقسم الخليفة رضى الله عنه الغنائم وأخذنا فيها مئة بكر ، وكن عندنا مؤنثات ، فقسمهن الخليفة على الموحدين ، وتزوجهن ، وبقيت فاطمة بنت يوسف الزناتية وبنت ماكسن بن المعز صاحب مليلة فرما الخليفة القرعة مع أبى إبراهيم على فاطمة فأخذها أبو إبراهيم وأخذ الخليفة بنت ماكسن ابن المعز أم الأمير إبراهيم والأمير إسماعيل ، وأكلنا أسماس في المهديّة متاع ابن مليح ، ثم رحلنا إلى أغبالو متاع بنى يزناسن ، وهرب أهله وامتنعوا أن يوحدها ، فرحلنا منها إلى ندرومة (117) بلاد كومية فوجدوا ، فرحلنا إلى تاجرا فميزنا فيها .

وخرج منها ثلاثة عساكر ، أولهم ابن زكرو مشا إلى جهة الساحل وكسر وهران وساق غنائمها ، وخرج الشيخ أبو إبراهيم إلى ويسعد لبنى وانون وساق غنائمها ، وخرج أيضاً يوسف بن وانودين بعسكر ثالث إلى مديونة تكيزا فخرج إليه أبو بكر بن الجوهري من لمتونة ومحمد بن يحيى بن فانو من تلمسان أرادا قتال يوسف فغزاهما يوسف في خندق الجمر يسما بواى الزيتون (118) وقتلها الاثنين ، وجاء زبرى بن ماخوخ بثقلته إلى الخليفة ووحد فدفعه الخليفة إلى غيابة ففدده بنو مكود وقتلوه وقطعوا رأسه ويديه وحملوها إلى فاس وعلقوها في باب السلسلة ، وضم الخليفة رضى الله عنه ، كومية وقال لهم أعطوني الذى أعطى أبا طاشور لمحمد بن فانو وقتله ، وأخذ الخليفة عشرة أشياخ من كومية وقتلهم ، الأول منهم يسمى بوكون تشفع فيه العجائز .

ورحلنا منها إلى تيفسرت متاع مديونة ، وطرق تاشفين مع الأبرتير ، ونزلنا في تلمسان والخليفة في تيفسرت ، فخرج من عندنا الشيخ أبو حفص

(117) ندرومة : في الأصل اسم قبيلة من قبائل جذم كومية ، سميت به قرية شهيرة بجبال تراس الواقعة شمال غرب تلمسان ، أهلها ذوو مروءة وكرم وجد في طلب العلم ، مساحة أرضها 2.156 هـ حولت إلى جماعة قروية بمرسوم 29 يراير سنة 1868 م ، بطونها : بنى عقان وبنى زيد ، وأهل السوق ، والخربة .

(118) وادى الزيتون : واد يقع بين تلمسان وللا مغنية يصب في نهر تافنا .

ويصلاسن بن المعز إلى العيون متاع صاء (119) وأصابوا تم بنى يسينس وبنى سنوس (120) ، وبنى وردرسن وبنى ستلتن أربع قبائل فغار عليهم الشيخان أبو حفص ويصلاسن وساقا غنائمهم ورجعا إلى المحلة .

وبعد ذلك أرسل نزولة بجمعهم للأبرتير ، فخرج الخليفة إليهم وكانوا بموضع يسما بكيرس ، فنزل عليهم يوم الخميس على الحبل من فوقهم ونزل الأبرتير يوم الجمعة أيضاً عليهم من جهة أخرى ، وكان بيننا وبينهم خندق يقال له يغريت ، فنظر الأبرتير إليهم وقال هاؤلاء قوم مغبرون ، إمّا يأخذوننى ويعطونى لعبد المؤمن أو يأخذون عبد المؤمن ويعطونه لى ، ففاجأته الهزيمة فقلع عنهم إلى بعض الطرق ، وكتب كتاباً للخليفة بالنصيحة يقول له فيه أقتلهم قاتلهم الله ، غدروا باخوتهم ، فكيف لا يغدرونك ؟ فعمل لهم الخليفة آكرأو (121) يعظهم فيه ، فقال لهم وحّدتم ؟ فقالوا له نعم ، فقال لهم إن كان ما تقولون حقاً فسوقوا سلاحكم وإلينا ، فلم ير منهم شيئاً ووعظهم يوماً ثانياً وقال لهم جيئوا إلينا بأولادكم وسلاحكم ، فقالوا له نعم ، فلما كان يوم ثالث جاؤوا بأولادهم وسلاحهم وأمر الخليفة عبيد المخزن (122) وأوصاهم أن يفرقوا بينهم وبين خيلهم وسلاحهم ، فقال لهم عبيد المخزن امشوا إلى الخليفة أعطيك الدعاء ، فجاءوا إلى الخليفة يريدون الدعاء ، فلما انفصلوا عن دوابهم ركب العبيد خيولهم وأخذوا سلاحهم وأمر الخليفة فضرب الطبل وقتلهم جميعاً إلا الصبيان الصغار وسقنا غنائمهم ، فسمح الأبرتير الحبر فقال لتاشفين ميّر العيون ن آيت وريناد في موضع يُسمّى تاكلوط ن تيفسرت ، وأما تاشفين فميز

(119) عيون صا : هي قرية عين بنى مطهر (بركنت سابقاً) التي تبعد 83 كلم عن مدينة وجدة في الطريق بينها وبين فكيك ، ومن هذه القرية تنبع العيون التي هي بداية وادى زا (صا) الشهير .

(120) بنى سنوس : قبيلة شهيرة مستقرة في الجنوب الغربي لجبل تلمسان ، تشمل على ثلاث عمارات : الخميس ، والكاف ، والعزابل ، ولكل عمارة من هذه العمارات بطون عديدة ، وقد هاجرت فرقة من هذه القبيلة إلى المغرب الأقصى صحبة عدد من قبائل المغرب الأوسط وأقطعها السلاطين أرضاً خصبة على عدوتى نهر سبو شمال مدينة فاس ، وهي هناك تعرف باسم (شراقة) أى القبائل الآتية من الشرق .

(121) آكرأو : مجمع باللغة البربرية .

(122) المخزن : الحكومة في الاصطلاح الإدارى المغربى القديم .

ولم يتبعنا فتقاتلنا مع الأبرتير على تلك الغنيمة وعليها مات الأبرتير ، ولم يسلم من عسكره إلا ستة نفر ، ثلاثة من الروم ، وثلاثة من بني وانار ، فأما الذين من الروم شوين وعشتون وبطريان ومن بني وانار علي بن الخنوس ، ويخلف بن الأشنطير ، ويخلف المكرطر ، وكان ذلك في عام تسعة وثلاثين وخمسمئة .

ثم قلنا من تيفسرت ونزلنا بين الصخرتين (123) بعد موت الأبرتير ، وكان تاشفين في سطفسيف (124) بمحلته ، وكان بيننا وبينه القتال في كل يوم مدة من شهرين ، فلما كان يوم من الأيام طلع الأسد متاع تاشفين ، فهرب إلينا بسلسلته وبات عندنا وعشاه الخليفة وقال للموحدين البشارة يا موحدون ، فلما أصبح رجع الأسد إلى مولاه ، ويذكر أن هذا الأسد جاء من محلة الأشقياء حتى وصل إلى محلة الموحدين أعزهم الله ومشأ إلى بين يدي الخليفة رضي الله عنه فاستقبله ومد يديه على الأرض ، وقال الفقيه أبو علي الأشيري (125) رحمه

(123) جبل الصخرتين : هو جبل ترني المطل على تلمسان حيث ضريح الشيخ أبي مدين النور ، وضريح الصالحة للاستي .

(124) سطفسيف : واد يجري شرقي تلمسان ويصب في نهر يسر ، يعرف اليوم بصفسيف

(125) ابن الأشيري : الحسن بن عبد الله بن الحسن الكاتب المعروف بابن الأشيري ، من أهل تلمسان ، نشأ بها وأخذ عن الأستاذ الحسن الخراز ، وبالبرية عن يوسف بن يسعون سنة 540 هـ . كان من أهل العلم بالقراءات واللغة والغريب ، يغلب عليه الأدب ، ناطقاً ناثراً ، كان موجوداً بتلمسان أثناء حصار الموحدين لها سنة 539 هـ ولما فتحوها خرج مهاجراً إليهم مع أبي يحيى بن صمادح فقبلا ، وصار بعد ذلك من أشياعهم وأنصارهم والف في تاريخهم كتاباً سماه نظم الآل ، في فتوح الأمر العالي .

والبيت الذي أوردته البيهقي أوردته غيره من المؤرخين مع ثلاثة أبيات أخرى هي :

أنس الشبل ابتهاجاً بالأسد	ورأى شبه أبيه فقصد
ودعا الطائر بالنصر لكم	فقتلوا حركم لما وفد
أنطق الخالق مخلوقاته	بالشهادات فكل قد شهد
أنك القائم بالأمر له	بمنما طال على الناس الأمد

ولابن الأشيري مجموع في غريب الموطن ، وقف عليه ابن الأبار .

وكانت وفاته سنة 569 هـ .

تنظر ترجمته في التكملة ، لكتاب الصلة ع 718 وينظر أيضاً زاد المسافر ص 59 والحلة السيرة الجزء الثاني .

الله في ذلك الوقت مرتجلاً وكان ممن حضر ذلك المجلس المكرم (الرمل) .

فرح الشبل ابتهاجاً بالأسد ورأى شبه أبيه فقصد

وعند ذلك جاءت المحلة من بجاية وقائدها ميمون بن المنتصر ، فطلعوا إلى قتالنا فهزمناهم من بين الصخرتين إلى باب المدينة ، وقتلنا منهم الذي وعد الله بقتله ، فأصبحوا هاربين ، ولحق القائد ابن ميمون إلى متيجة فبعث إلى الخليفة رضي الله عنه بالتوحيد ، وقال له إن أنت استفتحت المغرب فتجيء إلى المشرق تصيبه مفتوحاً وأنا قائده .

ودبر أنكمار وتاشفين وعبد الله بن أبي بكر بن ونكى وتيتلا على قلعهم من سطفسيف بعدما قتلوا ابن زكو في جبل ينوك كان بعثه الخليفة عن مواساة الموحدين ، فهجموا عليه ، وقتلوه وقلعوا إلى وهران ، وهر أبو حفص في أثرهم بشمانين ساقية ما بين الموحدين وزناتة ، فنزل تاشفين بوهران مع أنكمار ، ونزل عبد الله بن ونكى في صلب الكلب ، ونزل تيتلا بالمدينة ، فلما وصلهم الشيخ أبو حفص نزل أيضاً على عين وهران ، والكل منهم العين بالعين ، هاؤلاء ناظرون لهاؤلاء ، فلما أصبح أنكمار ضرب إلى الصحراء وهرب ابن ونكى إلى المغرب ، وترك تاشفين وحده هو وتيتلا ، فلما رأى أبو حفص ذلك قام بعسكره وأحاط بتاشفين وحصره وأطلق النار في باب الحصن ، فخرج عند ذلك تاشفين ركباً على فرس له كانت تسما عنده بريحانة ودفع في عسكر أبي حفص وهو هارب يريد البحر ليدخل القضايع فبينما هو سائر على فرسه إذا بحافة فتركته فرسه في تلك الحافة ومات (126) ، فلما كان النهار وجده الموحدون ميتاً في تلك الحافة وتحت فرسه ، فأخذوا فرسه وقطعوا رأسه وبعثوا به إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه فصوره ووجه إلى تينملل بشري ليوسف بن سليمان (127) ووسنار بن عبد الله ، وأبي

(126) كان ذلك ليلة 27 رمضان عام 539 (الخميس 22 - الجمعة 23 مارس سنة 1145 م) .

(127) يوسف بن سليمان : من أهل خمسين . انظر قصة طريفة له في المعجب ص 116 طبع سلا .

عمران موسى بن الحسن ، ومحمد بن يومور ، وكسر أبو حفص وهران ومات فيهم
تيتلاً ومات فيهم أصحاب تاشفين ، ما عاش منهم إلا واحد يُسمّى بسيد
الملوك بن يزديسين السدراي ، وبه افتديت فندة بنت علي (128) وابنتها
من فاس من عند الصحراوي .

استفتاح فاس

وقلح الخليفة رضي الله عنه من تلمسان يريد المغرب بعد توحيد
المشرق كله ، فنزل على وجدات فأخذها ووحيد أهلها ومات فيهم أبو بكر بن
سامغين ، وقلع منها إلى أكرسيف فنزلنا عليه وكان في نظر أكرسيف ثائر
قام فيه يُسمّى مصبوغ اليمين ، فخرج إليه يصلان بن المعز وموسى بن
زيري وغزوا وقتلاه وساقا غنائمه ، وقام ثائر آخر يُسمّى أبو يعلا فخرج
إليه أبو إبراهيم وأبو بكر ابن ويفتين وقتلاه وساقا غنائمه ، وعند ذلك دخل
الخليفة أكرسيف ومات فيه عمر بن تاكرطاست ووحيد منه الحاج التكروري
السكناوي .

ثم قلح الخليفة من أكرسيف يريد فاساً ، فنزل بالمقرمدة ، فجاءه
أبو بكر بن الجبر (129) بعسكر غمارة ، فقال الخليفة رضي الله عنه للموحدين :
أعطونا تيطاف يمشون إلى فاس ويتعرفون إن كان هذا الرجل في قوة أم لا ؟
فلم يجبه أحد منهم ، فقال أبو بكر بن الجبر أنا أدريه وأعرفه ، وقرأت فيه أنا
أقصده وأتعرّف خبره ، فأخذ خمسمئة من صنهاجة ، وخمسمئة من هسكورة
رجالا دون خيل ، فطرق بهم على طريق الساحل ، وجاز سبو وطلع بالليل إلى
زلاغ (130) وشيد على نفسه ونير بالليل النار ، فلما رآه أهل فاس ارتجوا
وقالوا الخارجيون في زلاغ ، فخرج الصحراوي من المدينة لقتال الموحدين

(128) فندة بنت علي : أخت عبد المؤمن بن علي لأبيه ، أو أخته لأمه على اختلاف الروايات .

(129) أبو بكر بن الجبر الصنهاجي : كنية أبو يحيى من أهل خمسين المستدركين بعد
التمييز .

(130) زلاغ : جبل فاس المطل عليها من الجهة الشمالية ، تسكن به قبيلة لمطة .

ومعه أهل الحاضرة ، وعند خروجه قدر أبو بكر بن الجبر عسكره بألف وخمسمئة
ما بين لمتونة وأهل المدينة ، فقاتلهم أبو بكر من الغد إلى العصر ، ثم رجس
الصحراوي إلى المدينة ونشر الموحدون النيران أيضاً أعزهم الله في الليلة
الثانية إلى نصفها ، ورحلوا إلى المحلة .

فلما أصبح قلح الخليفة من المقرمدة ونزل في عين أدقا ، وقام بها
وميز الموحدين في عدوة سبو في عقبة البقر ، فأخذت المحلة السهل والوعر ،
فخرج أهل فاس ينظرون إلى المحلة (131) المؤيدة وارتجوا ، ووقف الصحراوي على
نوك إيكران ينظر المحلة مع أهل فاس ، فارتجوا ، فلما أصبح الله بخير
الصباح أمر الخليفة بالميز فميز بثمانين ساقاً ، وجازوا الوادي ساقاً بعد
ساقاً ، حتى إلى منزل الحجاج وخرج الصحراوي بخيله إلى جبل العرض ووقف
عليه ، وكان بينه وبين الموحدين واد يُسمّى بسدرّواغ ، فبقوا هناك إلى
الظهر ، ثم قال الخليفة للموحدين « أسافوا » فقالوا باللسان الغربي (132)
« انغزرو السنتت وردم تبططي » ، فصاحوا بأجمعهم رجالهم وخيلهم ،
ثم أمر الخليفة بالرجوع إلى المحلة ووقف هو بمنزل الحجاج بثلاثة آلاف
 وخمسمئة حتى جوزهم ساقاً بعد ساقاً لئلا يهبط فيهم عدو الله ، ثم رجع أمير
المؤمنين إلى المحلة فلما أصبح الله بخير الصباح رحل الخليفة رضي الله عنه
وقسم الجيش على قسمين ، سار أبو بكر بن الجبر مع صنهاجة وهسكورة إلى
نوك إيكران ، وطلع الخليفة بباقي العساكر إلى جبل العرض ، فاجتمعوا كلهم
ونزلوا بجبل العرض ، وأمر الخليفة الناس بقطع الشجر فقطعت وطلعت للمحلة
وعملوا منها الزرب للمحلة ، وبنا الناس الحائط خلف الزرب وأخذوا الزرب
وجمعوه وقطع به الوادي وردة الخليفة إلى السور وهم باب السلسلة ثم
نزل الوادي فلما رآ الصحراوي ذلك خرج مع رعيته ووقف على السور حتى
بسناء .

(131) المحلة : الجيش المستقر في الاصطلاح العسكري المغربي القديم ، وعكسها الحركة
أي الجيش الضارب ، وقد تسمى المحلة مجرد الجيش .

(132) اللسان الغربي : أي لغة الغرب (المغرب) وهي البربرية في عرف الأندلسيين
والمغاربة القدماء ، وكان ذلك قبل تعرب المغاربة .

ثم قال الخليفة رضي الله عنه للموحدين أعزهم الله ، أعطوني (تيطاف) يصرفون لمكناسة ، فخرج إليهم يدّر بن ولكوط فقتلهم جميعاً إلا ثمانية من الخيل ، أولهم عبد الحق بن إبراهيم ، ويخلف بن يلولين ، وأحمد بن تمكليت ، وحسن بن يريكن ، وسعيد بن غريس ، وميمون الصغير ، وعبد الرحمان بن ينعمان ، وسعد الله بن زيري الهنتاتي ، فغضب لذلك الخليفة غضباً شديداً ، وميز الموحدين في يوم جمعة ، وخرج إلى مكناسة بعسكره ، وترك على فاس أبا بكر بن الجبر بمحلته ، من الموحدين ، فكان خروج الخليفة والموحدين من المنحلة بالليل ، ولم يعرف أهل فاس أنه خرج ، فأصبح له الصباح في مفيلة يوم السبت ، فلما كان يوم الأحد برز الخليفة على مكناسة وكسر الحواثر كلها إلى تاكرات (133) .

ثم طلب الصحراوي جملة من المال للجيانى فأعطاه ، فطلب له مالا آخر وضيق عليه ، فلما رأى الجيانى ذلك بعث إلى أبي بكر بن الجبر ، فقال له ميز عسكرك أفتح لك الباب وكانت مفاتيح الأبواب عنده ، فميز أبو بكر عسكره فلما أصبح الله بخير الصباح فتح له الباب ودخل ولم يشعر الصحراوي حتى رأى الموحدين على السور ، وخرج الجيانى إلى الموحدين ، وركب الصحراوي يريد الفرار وسار إلى باب الفتوح فوجده مغلوفاً ، ف ضرب طبله واجتمع عليه بعض عسكره ، وقال لعبد خرز : افتح لنا الباب فأخذ خرز الشاقور متاع الخباء وضرب به رزة (134) العمود وطيرها وفتح الباب وخرج الصحراوي وهبط إلى سبو هاربا هو وعمر بن يينتنان ويحيا بن سير وكندال ابن موسا وشيوخ لمطة ، هبطوا مع سبو إلى بنى تاودا ودخلوا أمركو وتحصنوا فيه ، ولم يدخل معهم الصحراوي فرعاً من الموحدين أعزهم الله ، ومضا هاربا إلى بر الأندلس ، وبقي هاؤلاء المذكورون في أمركو فميز أبو بكر بن الجبر

(133) ظلت الحامية المرابطية تقاوم بسكناس بقيادة الوالي يدّر بن ولكوط من آخر عام 540 إلى أول عام 545 تنظر تفاصيل حصارها من طرف الموحدين وفتحهم لها في الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون لمحمد بن غازي العشمانى ص 16 طبع الرباط .

(134) الرزة : يراد بها العروة التي يدخل فيها العمود (الزكروم) الذي تغلق به الأبواب ، وتطلق الرزة أيضاً على العمامة لاستدارتها على الرأس ، وما زالت للرزة دلالتها المذكورتان إلى الآن .

الموحدين وخرج إليهم وساقهم كلهم إلى فاس وقتلهم إلا عمر بن يينتنان ، قال له الخليفة رضي الله عنه نها الامام المهدي رضي الله عنه عن قتل أولاد يينتنان ، فسجنه وخلاه ، وكان استفتاح فاس عام أربعين وخمسمئة وقد مكثنا عليها تسعة أشهر .

وقلح الخليفة رضي الله عنه مع الموحدين أعزهم الله بأجمعهم إلى مكناسة ، وترك في فاس محمد بن يحيى الكدميوى والجيانى الذي كان استفتاحها على يده .

استفتاح مراکش

وأرسل صنهاجة تيسغرت إلى الخليفة سنبله وقالوا له بادروا زرع دكالة لا يدخل مراکش ولا تأخذها أبداً ، فميز أمير المؤمنين الموحدين وخرج من مكناسة وترك عليها يحيى بن يومور وأخذ على طريق تادالا (135) فميز فيها ، وجاء مسكورة وصنهاجة بعسكرهم وهبط بهم الخليفة رضي الله عنه على وادى أم الربيع حتى استوا في صنهاجة أزمور ، ونزل فيه بعسكره ، وساقوا له المروءة ، وبعث عن دكالة جيرانهم فوجدوا توحيدهم الأول .

فهبط إلى مراکش وجاوز تانسيفت (136) إلى تاقايط (137) وميز فيها وقلع إلى إيكلينز (138) وضرب عندها القبة الحمراء ، فلما سمع أهل مراکش بذلك خرجوا لقتالهم ، وكان ذلك في عام واحد وأربعين وكان

(135) ذكر مؤرخون آخرون أن عبد المؤمن ذهب إلى مراکش بعد فتح فاس على طريق سلا لا على طريق تادلة ، وأنه فتح سلا وثلثم سورها ونزل بها في قصر ابن عشرة ومدحه الشعراء ومنهم ابن الحمارة وذلك قبل ذهابه إلى مراکش .

(136) نسيفة : وبالبربرية تانسيفت نهر يبعد عن مراکش 8 كلم إلى الشمال ويصب في المحيط الأطلسي .

(137) تاقايط : اسم مدينة صغيرة مندثرة كانت توجد بالقرب من مدينة مراکش .

(138) كليلز : جبل مراکش الشهير يطل عليها من الجهة الشمالية ، سميت به الأحياء المصرية بها .

القتال بيننا وبينهم أربعة أيام ، كان يخرج إلينا إسحاق بن يينثان ومحمد بن حواء ومحمد بن يانكالا هاؤلاء هم سلاطينهم الظاهرون ، وكان إسحاق (I39) صاحب الولاية ، وهو صبي صغير ، وخرجوا إلينا في اليوم الخامس وهزمناهم حتى إلى باب الشريعة (I40) ومات منهم خلق عظيم ، فلما رأوا ذلك خمدوا في المدينة وما كان يخرج لنا منهم إلا ابن يينثان ، وأرسل إليهم أكتي سلطانهم الذي وحد وأرسل إسحاق بن يينثان بالتوحيد فخرج مع أصحابه ووجدوا ، وبقيت المدينة ما يدخلها داخل ولا يخرج منها خارج ، فاستعمل الخليفة السلاطين للأسوار ، وقسمها على القبائل ، فساد الناس لقتالهم ، فدخلها الموحدون ، فدخل هنتانة وأهل تينممل من باب دكالة (I41) بسلمهم ، ودخل صنهاجة وعبيد المخزن بسلمهم من باب الدباغين (I42) ، ودخل مسكورة مع القبائل من باب يينثان (I43) فاستفتحت مراكش ودخلت بالسيف ، وكان القتال على القصر حتى إلى الظهر ، ولم يدخل حتى ماتت فانو بنت عمر بن يينثان ، وكانت ذلك اليوم تقاتل الموحدون وهي في حياة رجل ، وكان الموحدون يتعجبون من قتالها ومن شدة ما أعطاها الله من الشجاعة وهي بكر ، فلما ماتت حينئذ دخل القصر ولم يعرف الموحدون هل هي امرأة أم لا حتى ماتت (I44) .

(I39) كان تاشفين بن علي ولا عهده ولده إبراهيم عندما يبيع عام 537 هـ ولما خرج من مراكش وذهب إلى تلمسان تركه بها خليفة عنه ، وقيل إن تاشفين لما اشتد عليه الحصار بتلمسان وذهب منها إلى وهران أرسل ابنه وولي عهده إبراهيم إلى مراكش في شهر شعبان عام 539 هـ صحبة الكاتب أحمد بن عليبة القاضي وجماعة من أعيان لمتونة وفوة حربية لحمايتها من غارات الموحدين ، ولما توفي تاشفين بـ وهران بعد شهر ووصل نعيه إلى مراكش بايع المراكشون ولي عهده إبراهيم وكان طفلاً صغيراً ، فخالف عليه جماعة من قومه وولوا عنه إسحاق بن علي وهو أيضاً صبي صغير ، ودعوا له ، فوقع الخلاف بينهم والتدابير إلى أن دخل مراكش الموحدون وقضوا على دولتهم وقتلوه على الصورة التي يذكرها المؤلف ، ويخلط المؤرخون كثيراً بين إبراهيم بن تاشفين (أبو إسحاق) وبين عنه إسحاق بن علي (أبو إبراهيم) بسبب تشابه الأسماء والكنى .

(I40) هو باب الخميس الحالي .

(I41) باب فتح في سور مراكش الشمالي الغربي .

(I42) هو باب الدين الحالي .

(I43) أي باب هنتانة وعرف أيضاً بباب هيلانة أو باب يلان . يقع في السور الشرقي

جنوبي باب الدين .

(I44) فتح الموحدون مراكش يوم السبت 22 مارس سنة 1147 م (17 شوال عام 541 هـ) وقد نقل ابن عذارى في البيان المقرب عن البيهقي أخبار فتح مراكش مع مخالفة بسيرة في اللفظ .

فلما دخل القصر وحملوا منه السلاطين إلى إيكيليز وأخرجت العامة متاع الحاضرة إلى باب الصالحة (I45) وقتلهم أبو الحسن بن واكك ثم رجع إلى إيكيليز وقتل فيه أولئك السلاطين ولم يبق منهم إلا أبو بكر بن تيزمت وإسحاق وغلماهم طلحة ، وكان إسحاق يتضرع للخليفة ويقول له يا أمير المؤمنين ما لي في الرأي شيء ، فيقول له طلحة اصمت عنا هل رأيت ملكاً يتضرع ملك مثله ، فقال أمير المؤمنين لأبي الحسن اترك هاؤلاء الصبيان ما الذي تعمل بهم ، فصاح أبو الحسن وقال في صيخته : ويوا ويوا الموحدون ! ارتد علينا عبد المؤمن ، يريد أن يربي علينا فراخ السبوعة ! فقام الخليفة غضباناً وتبعه الموحدون إلا أبا الحسن والشيخ أبا حفص ، فأخذ أبو الحسن إسحاق وضرب عنقه (I46) ثم جذبوا طلحة ليقتلوه فقال ياعمى أبا الحسن سلاحي ما الذي تفعل به عسا أن أعطيه لك ، فأطلق من تكتيفه ليعطي السلاح ، وكان الخنجر في وسطه فضرب به أبا الحسن وقتله ومات ومات طلحة من بعده ، وكان أبو الحسن حينئذ قد كتف من دكالة ألف رجل ليقتلهم ، وقال إذا قتل طلحة أقتلهم ، فلما قتل طلحة أبا الحسن أطلق دكالة ولم يمت منهم واحد .

وأخذوا أبا بكر بن تيزمت ورفعوه لأمير المؤمنين ، وقالوا له ألم تعرف يا أمير المؤمنين بأن أبا بكر بن تيزمت خادم علي بن يوسف ومشاوره ؟ فقال لهم الخليفة أعرف ذلك (I47) فقال له فلأي شيء أموت ؟ قال الخليفة تموت لأنك رميت يدك في المهدي رضى الله عنه وحملته إلى السجن ، قتلته السنة ، قال له : إذ أموت ولا بد أقول لك مسألة ، قال له الخليفة قل ، قال عندي

(I45) باب الصالحة : هو باب القصبة أو باب المخزن كما يسميه ابن فضل الله العمري ، سمي بذلك لوقوعه قرب جنان الصالحة الشهير .

(I46) نقل صاحب كتاب الحلل الموشية ص 114 وصف مقتل إسحاق بن علي عن البيهقي ، وهو ثالث مؤرخ مغربي ينقل عنه فيما أذكر .

(I47) يظهر أن بعض الفقرات سقطت من النص الأصلي ، وفي البيان المقرب لابن عذارى (3 . 24 طبع تطوان) نقلاً عن البيهقي أن أبا بكر بن تيزمت قال لعبد المؤمن : ألم تعلم أنني خصم لعل بن يوسف ؟ قال له : أعلم ذلك ، فقال له : فلأي شيء تقتلني ؟ الخ وماكدا يستقيم الكلام .

برمتان من مال كلها ذهب يأخذها الموحدون لأنى أخاف أن أموت وأحاسب عليها فأعطنى أمناء أربها لهم ويحملوها ، فاختار أمير المؤمنين من قبائل الموحدين اثنين من كل قبيلة ، فسار الرجل مع اثني عشر من الأمناء وكان في يده سكين الغدر ، فجاء معهم إلى الدار والمحلة في ايكيليز ، ودخل معهم الدار وسدها عليهم وأعطاهم الفيسان باش (148) يحفروا فخلامهم حتى اشتغلوا بالحفر فرد يده على سيف الغدر فقتلهم به ، ولم يسلم منهم سوا واحد مرء من طاق المصرية (149) وهرب إلى ايكيليز ، فعرف الموحدون بالخبر وأخبروا به الخليفة ، فسار الموحدون أعزهم الله ودخلوا عليه الغرفة وجروه إلى ايكيليز فقال له أمير المؤمنين رضى الله عنه هاذا فرش وغطاء أفنا الموحدين ، اقتلوه فقتل .

وبقيت مراکش لم يدخلها داخل ولم يخرج منها خارج ثلاثة أيام ، وكانوا يتشاورون على سكنائها ، فامتنع الموحدون أن يسكنوها ، فقام إليهم الفقهاء فقالوا لهم لأي شيء لا تسكنوها ؟ فقال لهم الموحدون امتنع المهدي من ذلك ، ولاسيما تشريق مساجدها عن القبلة المستقيمة التي لا عوج فيها ولا تحريف لأمة محمد عليه السلام ، والتشريق والتحريف لغيرها من اليهود وغيرهم ، فقال الفقهاء تطهر وتسكنونها ، فقالوا لهم وما تطهيرها ؟ فقال الفقهاء تهدم جوامعها وتبنا جوامع أخرى ، فهدمت جوامعها لأجل تشريقها وتحريفها عن القبلة وإمالتها إلى المشرق ، وهدم فيها جامع علي بن يوسف ولم يهدموا كله بل مدموا بعضه ، وأرسل الأمناء إلى المدينة مع الوزير ، وكان السبي يضمنون للمخزن أمناه الله ما كان من الحلي والقش والسلاح وما كان بالمدينة كلها رُفع للمخزن وابتيع النساء ، ورجع كل شيء إلى المخزن ، وحينئذ دخل الخليفة رضى الله عنه البلد وقسم أزقتها بالمروس للموحدين فسكنوها شهراً .

(148) الفيسان : جمع عاسى لكلمة فاس ، وباش حرف تعليل في العامية المغربية مثل كى فى الفصحى ، وتكون أداة استفهام ، وهى حينئذ معروفة عن أصلها العربى (بى شى . ٩) .

(149) الطاق : والمطاقة أيضاً : الكوة ، النافذة الصغيرة ، عربية ، والمصرية دار صغيرة فوقية تبني فوق الحوانيت أو مداخل الديار ، لعل هندستها نقلت إلى المغرب من مصر فنسبت إليها .

وقام علينا نائر فى كزولة يسما عمر بن الخياط ويلقبونه ببويكندى ، فارتد معهم حاجة بعد توحيدهم مع ركرجة وهزميرة وهسكورة الوطاء مع دكالة مع بني ورياغل ، وكان نسب هاذو العدو من سلا ، وارتد أهل سبتة وطنجة وأهل المرية ، فخرج إلى عدو الله من الموحدين ابن يكتيت بأهل سوس وهزمهم عدو الله ، ثم خرج إليهم الشيخ أبو حفص بالعسكر ومشأ إلى هزميرة وهزمهم وبدد شملهم ومضأ إلى كزولة وهزم عمر بن الخياط وقتله وساقه على بقل وصلب على باب الشريعة ، ثم خرج أبو حفص مرة أخرى إلى هسكورة وكانوا فى آمان مئولتين فهزمهم أبو حفص وبدد شملهم وساق غنائمهم وبناتهم ، فيهن بنت توندوت فلم يبعثن ، ثم خرج أيضاً أبو حفص إلى برغواطية والتقا معهم فهزموه وأخذوا الثقلة ، فهبط أبو حفص بأولاده إلى تادلا وجدد عسكره ومشأ إلى مكناسة ونزل عليها وحصرها .

وجاء الصحراوى من ذالك البر بعد هروبه ، أرسل وراءه أهل سبتة فجاءهم ثم جاء علي بن عيسا الموحد صاحب البحر بالقطائع وحصرهم فى سبتة ، فخرج إليه الصحراوى من المدينة ، وقال له أريد أن يكون توحيدى على يدك ياأبا الحسن ، قال نعم وكان يسارره حتى أنشسه فقال له أحملك إلى الخليفة ، ثم رجع الصحراوى إلى المدينة ورجع على بن عيسا أيضاً إلى القطائع ، فلما كان غداً خرج يحيى أيضاً وأشار عليه علي بن عيسا فجاءه يحيى فهبط علي من الغراب وأراد الجلوس معه فقرأ علي فى وجهه يحيى الغير (150) وأراد أن يرجع إلى الغراب فرما عليه يحيى حصانه فضربه بالرمح فوصل بين الكتيفين حتى نفذ ، وأخذ غلام الصحراوى فجره إلى سبتة ، فأخذ الصحراوى وصلبه فى برج المدينة ، وخرج الصحراوى منها إلى طنجة فقرأها حريجة وقال ليحيى بن تايشتا إجلس موضعك هناك الله فيه ، وكان يحيى من المثلثين ، ثم رجع الصحراوى إلى سلا فأصاب فيها الخياط والد النائر المذكور فوجده على غير الاستقامة معهم ، فأخذ وضرب عنقه ، ورماه فى البحر ، وفيئاً فنزارة الذين أطاعوا الخياط ، وخرج الصحراوى من سلا بجنده يريد برغواطية ،